دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | الاختلاف في أصول الدين : أسبابه وأحكامه |
| المصدر: | مجلة البحوث الإسلامية |
| الناشر: | الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء |
| المؤلف الرئيسي: | البريكان، إبراهيم بن محمد بن عبدالله |
| المجلد/العدد: | ع 46 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1996 |
| الشهر: | مارس / شوال |
| الصفحات: | 325 - 367 |
| رقم MD: | 110595 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | IslamicInfo |
| مواضيع: | آداب الاختلاف، أصول الدين، أسباب أختلاف الفقهاء، الفقه الإسلامي، القرآن الكريم، جدل القرآن، السنة النبوية، الفرق الإسلامية، العقيدة الإسلامية، الإمامة، الأسماء والصفات، القضاء والقدر، الفرقة الناجية |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/110595 |

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# الاختلاف في أصول الدين أسبابه وأحكامه

للدكتور: إبراهيم بن محمد البريكان

## تعريف الاختلاف في الدين[1]:

هو التجاذب فيه بالأقوال والأفعال، والمراد به هنا ما انتهى إلى الخصومة والعداوة والتنازع .

والاختلاف في الغرائز والملكات الإنسانية أمر طبيعي في بني آدم نتيجة لاختلاف الطبائع والمشارب، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[2]، وبناء على هذا الاختلاف الطبعي تبنى الحياة ويثرى الوجود بمعطيات الإنسان الهائلة المتجددة على مدى الأيام والشهور والسنين، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[3]، وعلى أساس هذا النوع من الخلاف تعمر الحياة وتتنوع أنشطة الإنسان وبه تحصل مقومات الخلافة في الأرض وتسد حاجات الإنسان في مجالات حياته المختلفة .

---

(١) انظر الشريعة لأبي بكر الآجري ( ٣ ـ ٢٠ ) طبعة أنصار السنة المحمدية .

(٢) سورة هود، الآيتان ١١٨، ١١٩ .

(٣) سورة الزخرف، الآية ٣٢ .

هذا ولئن كان الاختلاف في مجالات النشاط الإنساني يؤدي إلى إقامة الحياة السعيدة الممثلة لما أراده الله من خلافة بني آدم في الأرض، فإن الخلاف في مجالات الدين المختلفة سبب لتعاسة الإنسان، وفساد أمره وتشتت شأنه، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على أن الاختلاف في إطار الديانة مذموم من حيث الجملة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾(١) وذلك لأن دين الله واحد والحق فيه واحد لا يتعدد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢) وبناءً على ذلك فالناس في ذلك أمة واحدة إذ أن جميع الأديان السماوية جاءت بعبادة الله والكفر بما سواه كما قال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾(٣) فلا يكون الاختلاف فيها إلا بالبغي والظلم كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾(٥).

ولذا كان من أعظم منن الله على عباده هو اجتماعهم على الحق وسيرهم عليه، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٥) سورة الشورى، الآية ١٤.

﴿ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1] مع ذلك فقد أخبر تعالى أن الاختلاف لا بد من وقوعه ليميز الله الحق من الباطل، فيُضل من يشاء عدلاً، ويهدي من يشاء فضلاً، فتظهر من آثار حكمه القدرية نظير ما أظهر لعباده من حكمه الشرعية، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

فالمرحوم من عباد الله من لا يوجد الخلاف بينهم ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ وأعظم الاختلاف وأشده ما كان عن علم وبصيرة إذ أن مقتضى العلم الاجتماع على الحق فإذا حصل الاختلاف فلا يكون إلا ببغي وظلم ظاهر بيِّن قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[3].

ومن هذا المنطلق فإن اختلاف أمة محمد ﷺ في أمر من أمور الديانة لا يكون إلا مذموماً قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[4] ولولا أنه مذموم لما حذرهم منه ونهاهم عنه لا سيما وأن بيانه ﷺ أكمل البيان وأظهره مما لا يجعل مجالاً للاختلاف كما قال ﷺ: « **تركتكم على المحجة البيضاء لا يزيغ**

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .
(٢) سورة هود، الآيتان ١١٨، ١١٩ .
(٣) سورة البينة، الآيتان ٤، ٥ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٥ .

**عنها إلا هالك**»[١] وقال ابن مسعود ما ترك رسول الله ﷺ طائراً يطير في السماء إلا ذكر لنا منه علماً، وهو كناية عن تمام البيان وكماله ووضوحه وظهوره بحيث لم يتبق لأحد بعده حجة أو برهان .

ومقتضى النهي عن الاختلاف الأمر بالاتفاق والاجتماع على الحق، قال تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾[٢] .

وروى الآجري في كتاب الشريعة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**» وروى الآجري عن عبدالله بن مسعود في خطبته: ( يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة ) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٤)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٣) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، وقد صححه ابن أبي عاصم وقال إسناده حسن .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

# الاختلاف في الكتاب والسنة النبوية

## ١ ـ الاختلاف في القرآن الكريم[١] :

الاختلاف المذكور في القرآن الكريم على ضربين:

**الضرب الأول**: اختلاف تُذم فيه كلا الطائفتين المختلفتين كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[٢] فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ ﴾[٥].

وترجع أسباب الاختلاف المذموم بين طائفتين إلى فساد النية لأن الدافع عليه هو البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ويرجع أيضاً إلى جهل كل من المختلفين بالأمر المتنازع فيه، أو الجهل بالدليل القاطع للنزاع، أو جهل كل من المختلفين بما عند صاحبه من الحق سواء كان ذلك في الحكم أو الدليل هذا إذا كان عالماً بما عنده من الحق حكماً ودليلاً، وقد بين الله تعالى

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٣٦ - ٤١).

(٢) سورة هود، الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

أن أصل الشر كله الجهل والظلم، قال تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[١].

**الضرب الثاني**: هو ما حمد الله فيه إحدى الطائفتين؛ وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾[٢] فحمد إحدى الطائفتين ووصفهم بالإيمان، وذم الأخرى ووصفها بالكفر، هذا وأكثر الخلاف المؤدي إلى الأهواء والبدع في الأمة المحمدية هو من النوع الأول وسبب ذلك أن كلا من الطائفتين المتنازعتين لا تعترف بما عند الأخرى من الحق ولا تعدل في حكمها لها وعليها.

**ب ـ الاختلاف في السنة النبوية:**

ويتبين ذلك من عدة أمور:

**أولا**: إخباره صلى الله عليه وسلم عن افتراق هذه الأمة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « **تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** »[٣]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

(٣) المسند (٢/ ٣٣٢)، وسنن أبي داود كتاب السنة (٣٨)، وسنن ابن ماجه المقدمة باب (١٢)، سنن الترمذي كتاب الفتن باب (٣٤)

رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح .

**ثانيا**: إخباره بانتشار الأهواء وتبني بعض الأمة نشرها والدفاع عنها، كما قال ﷺ: « **إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به** »[1] رواه أحمد وأبو داود في سننه .

**ثالثا**: إخباره باتباع هذه الأمة أهل الكتاب في أهوائهم كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية كان من أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة** »، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: « **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** »[2] رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب مفسر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

**رابعا** : نصه على من معه الحق من طوائف الافتراق كما في الحديث الآنف الذكر .

**خامسا**: أنه نهى عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من

---

(١) المسند (٤/ ١٠٥)، سنن أبي داود كتاب السنة (٣٨) .

(٢) سنن الترمذي كتاب الإيمان باب (٨) .

المختلفين ما عند الآخر، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «**كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[(١)] رواه البخاري .

فدل الحديث على تحريم مثل هذا الاختلاف وأن يكون لنا عبرة فيمن قبلنا حيث اختلفوا بمثل ذلك.

**سادساً**: الاختلاف في السنة النبوية على نوعين[(٢)]:

**النوع الأول**: اختلاف تنوع: كالاختلاف في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح وصلاة الخوف وتكبيرات العيد ونحو ذلك وهذا النوع من الاختلاف يأتي على وجوه منها:

أن يكون القولان أو الفعلان مشروعين كالقراءات ومن ذلك ما تقدم من اختلاف الأنواع، ومنها ما يكون الاختلاف القولي في اللفظ دون المعنى، ومنها ما يكون كل واحد من الأقوال غير الآخر لكن لا تنافي بينهما وهما قولان صحيحان، ومنها ما يكون في طريقتين مشروعتين لكن كل واحد قد سلك واحدة منهما وهذا النوع من الاختلاف ليس مذموما لكن إن اقترن به البغي والظلم مع الجهل صار مذموما .

**النوع الثاني**: اختلاف تضاد: وهو أن يتنافى القولان من كل

---

(١) رواه البخاري في كتاب الخصومات (١)، فضائل (٢٧)،أنبياء (٥٤) .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٣٧، ٣٨) .

وجه وهو يكون في الأصول والفروع، وهذا لا يكون إلا على قول جمهور العلماء من أن المصيب في الكل واحد وهو الراجح، وأما على قول من يقول كل مجتهد مصيب فهو عنده من قبيل اختلاف التنوع، وهذا النوع من الاختلاف أي التضاد هو أكثر أنواع الاختلاف وأعظمها خطراً؛ وذلك كالاختلاف في القدر والصفات والصحابة ونحو ذلك في باب الأصول والاختلاف بالتبديع وعدمه في باب الفروع، هذا وقد جاءت السنة بإقرار اختلاف التنوع كما في إقراره ﷺ للصحابة على اجتهادهم في فهم قوله ﷺ: « **لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة** »[1] فمنهم من أخرها أخذاً بهذا الحديث ومنهم من أخذ بأحاديث الوقت مخصصاً لهذا الحديث .

وجاءت السنة بذم اختلاف التضاد كما في حديث عبدالله بن رباح الأنصاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « **إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب** »[2] .

## نشـأة الخــلاف العقــدي :

خلق الله الإنسان على الفطرة السوية موحداً لله ومؤمناً بربوبيته وألوهيته واتصافه بصفات الجمال والجلال قال ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه** »[3]

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب (٦٤) باب (٢٩) طبعة استانبول، ومسلم كتاب (٥) الحديث رقم (٢٠٩) .

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم الحديث (٢)، وأحمد في مسنده (١/٤٠١، ٤٢١) .

(٣) متفق عليه، البخاري كتاب (٢٣) باب (٨٠)، (٩٣) طبعة استانبول، ومسلم كتاب =

فذكر أنواع الانحرافات العقدية وأشار إلى أثر البيئة والتربية الاجتماعية في اتجاه الإنسان إلى الفطرة، أو الانحراف عنها ولم يجعل الإسلام منها مما يدل على أنه الفطرة قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(١) وأنزل الكتب وأرسل الرسل وجعلهما ميزاناً للحق ومصدراً له كما قال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾(٢).

وقد جاء الرسل بتكميل هذه الفطرة وتتميمها وتنميتها وإزالة غشاوة الباطل عنها كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٣).

فكان الناس على دين الله منذ خلقهم حتى حدث الشرك في قوم نوح عليه السلام، وتقدر هذه المدة بعشرة قرون ومن ذلك الوقت والناس قد انقسموا إلى مؤمن وكافر وموحد ومشرك، ولم تزل الرسالات السماوية تنزل لتكشف لوثة الباطل وتظهر الحق وتعلي دياره قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(٤) وكان حظ العرب من التوحيد ما أتاهم به نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل الذي تزوج من جرهم

---

= (٤٦) حديث (٢٢ ـ ٢٥) طبعة محمد عبد الباقي.

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

(٣) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٤) سورة الصف، الآية ٩.

وعاش في مكة وبنى البيت الحرام (الكعبة) مع أبيه خليل الرحمٰن إبراهيم عليهما السلام، ولم تزل العرب على ذلك حتى جاء عمرو بن لحي الكلاعي، وكان زعيم أهل مكة آنذاك فجاء بالأصنام من البلقان ومن الشام واستخرج أصنام قوم نوح التي طمرها الطوفان؛ بسبب تلك الرؤيا المشؤمة التي أراها إياه الشيطان حيث أعلمه بمواقع تلك الأصنام، فنصبها على الكعبة وأمر العرب بتعظيمها فعُظِّمَت، وبدأ ينتشر الشرك عن طريق الواردين على مكة الذين حملوا الأصنام إلى أقوامهم، وبعد ذلك أذن الله ببزوغ نجم الإسلام وظهوره على يد نبيه محمد ﷺ وانتشر الإسلام في أنحاء المعمورة على أيدي أصحابه الكرام رضي الله عنهم، ولم يكونوا يعرفون إلا الآيات المحكمات والأحاديث البينات أخذا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] فكان أي اختلاف ينتهي بالاتفاق، وكانت أصول الدين عندهم بالمحل الأعظم مما لم يدع مجالاً للاختلاف فيها بل كانوا عليها متفقين لوضوحها عندهم ولكمال فهمهم إياها، وهكذا مضى عصر الصحابة، ثم كان التابعون لهم بإحسان مقتفين[2] لآثار الأصحاب مقتدين بهم ومضى عصرهم على ما مضى عليه عصر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومضى عصر تابعي التابعين على ما عليه القوم قبلهم أيضاً ولا يعني ذلك أنه لم

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

(٢) انظر الاعتقاد للبيهقي ص (٢٣٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ـ١٦) وما بعدها .

ترد بعض الوساوس الشيطانية والنوازع النفسية للاختلاف، لكن كمال العلم بدين الله في هذه العصور كان يقطع حبل الاختلاف، قال ﷺ: « **إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب لكن رضي بالتحريش بينكم** » ثم نبتت في أوائل المائة الرابعة نبتةٌ لم تعرف الإسلام على أصوله، إما لعدم كمال علمها وإما لفساد طويتها، أو لتأثرها بالدخيل من أفكار الأمم الأخرى سواء ممن أسلم، أو ممن لم يزل على الكفر باطناً وتوج هذا حقد أعداء الإسلام والمسلمين الذين يتربصون بالأمة الإسلامية الدوائر .

## نشأة الفرق في الأمة المحمدية :

هذا وأول نشأة الاختلاف بين طوائف الأمة المحمدية كانت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه حيث حدثت بدعة الخوارج والتشيع نتيجة لمقتله رضي الله عنه، وبعد تحكيم الحكمين في موقعة صفين، لكن لم يكن للشيعة آنذاك جماعة ولا إمام ولا دار، ولا سيف يقاتلون به المسلمين، وإنما كانت الشوكة والقوة للخوارج، حيث كان لهم إمام وجماعة ودار، سموها: دار الهجرة، وحكموا على غيرهم من المسلمين بأنهم دار كفر وحرب، ويجمع الطائفتين تكفير ولاة المسلمين، وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما، والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم، لكن كان فساد الخوارج ظاهراً؛ لاستحلالهم سفك الدماء، وأخذ الأموال، والخروج بالسيف، بل وفعلوا ما اقتضاه اعتقادهم هذا، فقتلوا عبد الله بن

الحباب، وأغاروا على سرح المسلمين؛ ولذا قاتلهم علي رضي الله عنه وعلم بالشاهدة أنهم الذين ذكرهم الرسول ﷺ بقوله: « **يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فيهم رجل مخدج اليد عليها بضع شعرات** »[1]، وفي رواية: « **يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان** »[2].

وأما الشيعة فكانوا مختفين لا يظهرون لعلي وشيعته وهم ثلاث طوائف:

**الطائفة الأولى**: هي المؤلِّهة التي ألَّهت علياً فأحرقهم بالنار.

**والطائفة الثانية**: السابَّة وقد بلغ علياً أن ابن سبأ يسب أبا بكر وعمر فطلبه.

**والطائفة الثالثة**: المفضلة الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر وقد تواتر عن علي رضي الله عنه أنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر)، ولم تكن الشيعة الأولى تُنازع في أفضلية أبي بكر وعمر على علي رضي الله عنهم، وإنما كانوا يفضلون علياً على عثمان؛ لذا كان شُريك بن عبد الله يقول: إن

---

(١) رواه مسلم، كتاب رقم (٥٠)، حديث رقم (٦٥،٦٦) طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ج٢ ص٤٤١ وبعدها رقم الحديث ٩١٠، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤ وإسناده صحيح وأصله متفق عليه. انظر: اللؤلؤ والمرجان ج١ ص٢٣٢ - ٢٣٥ رقم (٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤).

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، فقيل له، تقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: كل الشيعة كانوا على هذا، وهو الذي قال هذا على أعواد منبره، أفتكذبه فيما قال؟ .

وفي أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية، وأصل بدعتهم عدم تصورهم التوفيق بين قدر الله وأمره ونهيه، ولما سمع بهم ابن عمر قال: (أخبر أولئك أني بريء منهم وأنهم مني براء والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر) فلما كثر الخوض فيه انقسم الناس إلى جمهور مؤمنين بالقدر السابق والكتابة المتقدمة وغير الجمهور وهم القدرية.

ثم حدثت بدعة المعتزلة قبيل موت الحسن حيث اعتزل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أصحاب الحسن البصري لما خالفوهم في القدر وأصحاب الكبائر ونحوهما من أصولهم فقال قتادة: أولئك المعتزلة، فصارت سمة لهم، ثم حدثت بدعة المرجئة وتكلموا في الإيمان وعدم دخول الأعمال في مسماه وحرمة الاستثناء ونحو ذلك، ثم حدثت بدعة الجهمية الجامعة لمجمل ضلالات من تقدم من نفي القدر ونفي الصفات والإرجاء ونحوها وليس هذا الترتيب ترتيباً زمنياً ولكن بعض العلماء قد جرى على هذا الترتيب وإنما ختمت بالجهمية لأنها أغلظ هذه البدع[1].

(١) انظر مجموع الرسائل الكبرى (١ - ٢٤، ٣٧)، واقتضاء الصراط المستقيم ص ١١٤، ومختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣ - ١٤ .

## أنواع المختلفين في العقائد وأحكامهم :

### المختلفون في العقائد على ثلاثة أنواع :

**أولاً**: من عرف الحق واتبعه وسلك السبل الصحيحة للوصول إليه الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل الصحيح والحس والفطرة المستقيمة، فهذا النوع على الجادة من دين الإسلام وهم السلف الصالح وأتباعهم والذين سماهم الرسول ﷺ بالفرقة الناجية الذين هم على ما عليه رسول الله وأصحابه، وهم الجماعة التي أمر الرسول ﷺ باتباعهم .

**ثانيا**: من عرف الحق وتركه معرضا بقلبه وفعله، فلا يعتقده ولا يعمل به، وهم على مراتب بحسب ما عندهم من الباطل من بدع مفسقة، أو مكفرة وهم بذلك إما مبتدعون، أو كافرون، وهم أصحاب السبل الذين نهى رسول الله ﷺ عن اتباعهم مفسرا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1] ويدخل في هؤلاء كل فرقة بدعية ضالة، أو فرقة خرجت عن الإسلام .

**ثالثا**: المجتهد المخطىء الذي بذل جهده واستفرغ وسعه وقدرته في الوصول إلى الحق لكنه وقع في الباطل أو بعضه، فهو مما اختلف فيه الناس لا سيما إذا كان ما عليه من الباطل أمراً مكفراً فقالت طائفة: إنه يحكم عليه بما اقتضته بدعته سواء من فسق أو كفر، ولا عذر له في ذلك؛ لأن باب العقائد لا بد فيه من

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

القطع، وما كان كذلك فليس هو مجالا للاجتهاد، فهو مخطىء من جهة طريقه ومن جهة النتائج التي توصل إليها، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة: منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[1] فإن هؤلاء يجهلون كون هذا الكلام كفرا ومع ذلك حكم عليهم بالكفر ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2] فاستحقوا العذاب في النار، وسبب ذلك أنهم لا يسمعون ولا يفهمون ما يقال لهم فهم جاهلون .

ومنها قوله ﷺ: « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في جهنم سبعين خريفا** »[3] والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: « **لا يلقي لها بالاً** » أي أنه جاهل بما توجبه هذه الكلمة ومع ذلك استحق ما يتعلق بها من وعيد، فجهله بما توجبه هذه الكلمة لم يكن له عذراً منجياً من الوعيد المستحق عليها .

**وقالت طائفة**: إن المخطىء في باب الاعتقاد معذور ولا يلزمه شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها قوله ﷺ: « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا**

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ٦٥، ٦٦ .

(٢) سورة الملك، الآية ١٠ .

(٣) أصله في البخاري كتاب الرقاق باب حفظ اللسان .

**أخطأ فله أجر واحد**»[1]، وهو عام في الفروع والأصول، فالمخطىء في الأصول معذور أسوة بالمخطىء في الفروع، ومنها قوله ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[2] وهو عام في الفروع والأصول فليكن المخطىء في الأصول في الحكم كالمخطىء في الفروع.

ومنها حديث الرجل الذي أوصى أبناءه أنه إذا مات أن يحرقوه ظنا منه أن الله لا يقدر على إعادته وتعذيبه، فهو منكر لقدرة الله على البعث، وإنما فعل ذلك خوفاً من الله، ومع ذلك أدخله الجنة وهو والحال ما ذكر مخطىء في الأصول فالمخطىء في الأصول مغفور له كالمخطىء في الفروع.

**وقالت طائفة**: المخطىء في الأصول تلزمه مقتضياتها في الدنيا؛من كفر أو تبديع، وما يترتب على ذلك من حد أو تعزير واستتابة وعدم إرثه ونحو ذلك، وأما في الآخرة فأمره إلى الله، وحملوا أدلة الطائفة الأولى على الدنيا، وأدلة الطائفة الأخرى على الآخرة.

**وقالت طائفة**: إن كان يعلم التحريم فهو كافر، وإن لم يعلم فهو مكفر أو مفسق أو مبدع، واستدلوا بتكفير الله لمن قال: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكبر بطونا، ولا أجبن عند اللقاء، فنزلت

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة ٦٨٠٥، ومسلم في الأقضية ٣٢٤٠.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الطلاق برقم (٢٠٣٣)، ورواه الطبراني والدارقطني والحاكم بلفظ: «رُفع عن أمتي . .»، وقال الطبري والبيهقي جوده بشر بن بكر، انظر تخريج أحاديث اللمع ص (١٤٩، ١٥٠).

الآية بتكفيره؛ وذلك لأنهم عالمون بحرمة ذلك ولم يكونوا يعلمون باقتضاء ذلك للكفر، وقالت طائفة لا أحكم بكفر ولا ببدعة ولا بفسق ولكن أقول هو مكفر ومفسق ومبدع؛ لأنه يعتقد أن ما عليه هو الحق وهو رأي الشيخ جمال الدين القاسمي وهو ضعيف، لأن مقتضاه أن التكفير والتفسيق والتبديع أمور سببية .

والحق : أن الشرع دل على أن لهذه الألفاظ مدلولات حقيقية وعقدية وأنه يترتب عليها من الأحكام الشرعية ما تناسبها واقعياً وهي أحكام ملزمة شرعاً .

وأرجح هذه الأقوال فيما يظهر: أن المخطىء يعذر في الدنيا والآخرة ما دام قد بذل جهده في الوصول إلى الحق ولم يقصر في ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ( وإذا كان كذلك فما عجز الإنسان عن عمله واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأً أو نسياناً فذلك مغفور له )[١]، وقال: ومن هذا الباب[٢] ما هو من باب التأويل والاجتهاد الذي يكون الإنسان مستفرغاً فيه وسعه علماً وعملاً ثم الإنسان[٣] قد يبلغ ذلك ولا يعرف الحق في المسائل الخبرية الاعتقادية وفي المسائل العملية الاقتصادية[٤]، والله سبحانه قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[٥] .

---

(١) الاستقامة ١/ ٢٨ .

(٢) أي الاختلاف كما يدل عليه ما قبله .

(٣) أي الاجتهاد .

(٤) الاقتصادية: أي يطلب الاقتصار على ما ورد به الشرع .

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس ومن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: « **إن الله استجاب لهم هذا الدعاء وقال: قد فعلت وإنهم لم يقرأوا بحرف منها إلا أعطوه** »[1]، ومما يدل على صحة هذا القول كون ذلك هو وسعه وطاقته والله لم يكلفنا ما لا نطيق، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[2] وهو داخل في مسمى رفع الحرج كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3] وهو من يسر الدين كما قال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[4] ووجه دلالة هذه الآيات أن للقلوب قدرة في باب العلم والاعتقاد العلمي، وفي باب الإرادة والقصد وفي الحركة البدنية، وأيضاً فالخطأ والنسيان هو من باب العلم يكون إما مع تعذر العلم عليه، أو تعسره عليه[5].

## أسباب الاختلاف في الدين :

ويمكن أن نتلمس أسباب الخلاف من خلال نصوص الكتاب والسنة وهي كما يلي[6]:

**أولا**: بغي الخلق بعضهم على بعض وظلمهم لبعضهم كما

---

(١) الاستقامة ١/ ٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .
(٣) سورة الحج، الآية ٧٨ .
(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٥ .
(٥) الاستقامة (١/ ٢٨) .
(٦) انظر: خلاف الأمة في العبادات من مجموع من هدي المدرسة السلفية (١١١ ـ ١١٦).

قال سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[١] وقال عز وجل: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[٢] فحب العلو في الأرض وتسلط الخلق بعضهم على بعض هو من أعظم أسباب الخلاف، ولذا فقد حذر الرسول ﷺ منه ومن الوقوع فيه فقال: « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** »[٣].

فاستحلال الدماء من أخطر النتائج التي تترتب على الظلم والبغي، ولذا فقد شرع الله ما يمنع البغي والظلم من الإصلاح فقال سبحانه: ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[٤] وأوجب على الأمة المحمدية رد الظلم فقال سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٥] فأمر بالعدل الذي هو ضد الظلم والبغي.

**ثانيا**: اتباع الهوى الذي يتضمن اتباع ما تهواه النفوس والطبائع وترك ما يأمر به الشرع من العدل والإحسان كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[٦] فجمع السبل لكثرتها ووحد

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩ .
(٢) سورة الجاثية، الآية ١٧ .
(٣) رواه البخاري كتاب العلم الحديث رقم (٤١) .
(٤) سورة الحجرات، الآية ١٠ .
(٥) سورة الحجرات، الآية ٩ .
(٦) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

سبيله لأنه واحد كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ واتباع الهوى من أكبر الأسباب في رد الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[1].

وقال أبو العالية: (وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء)، ومن هنا حذر النبي ﷺ من اتباعه فقال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**»[2].

**ثالثا**: اتباع وساوس الشيطان والشيطان عدو لبني آدم كما أخبر الله بذلك بقوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[3] وهو لا يألوا جهداً في إضلالهم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[5]، وحذرنا الله من اتباع طرقه ووساوسه فقال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[6] وأوضح لنا أن التفرق والاختلاف ما هو إلا حبيلة من

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٣ .

(٢) رواه النووي في كتاب الأربعين النووية وقال حديث حسن صحيح، انظر: جامع العلوم والحكم طبعة الحلبي ص (٣٣٨) الحديث الحادي والأربعون وأشار ابن رجب لانقطاع سنده فهو ضعيف .
قلت: لكن الأمة أجمعت على صحة معناه وعلى العمل بمضمونه والأدلة من الكتاب والسنة تدل على معناه وهي لا تحصى .

(٣) سورة فاطر، الآية ٦ .

(٤) سورة القصص، الآية ١٥ .

(٥) سورة النساء، الآية ٦٠ .

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٠٨ .

حبائله قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(١)، وقال ﷺ: « **إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم** »(٢).

**رابعا**: اتباع المتشابه: وهو ما لا يعلم معناه إلا الله، وترك المحكم الواضح البين، فقد روى الآجري بسنده عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾(٣)، قال: أما المتشابهات فهي: آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرأوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن يدعي هذه الكلمة، كل فرقة يقرأون آيات من القرآن ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى.

وقد حذر الله هذه الأمة من اتباع المتشابهات، فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾(٤).

وسبيل أهل الحق: الإيمان بالمتشابه ورده إلى المحكم، فقد روى الآجري بسنده عن ابن عباس قال عن الخوارج: (يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به).

---

(١) سورة المائدة، الآية ٩١.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (١٤٢٨٨)، ورواه الترمذي في: (البر والصلة) برقم (١٨٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧.

**خامسا**: الجهل بالدين فإن في العلم نجاة وفي الجهل هلكة قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقال سفيان الثوري: (لَعالِم واحد أشد على الشيطان من مائة عابد) وقال أبو العالية: (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه)[2].

والعلم هو طريق المعرفة بالله ودينه ومن علم دين الله وتمسك بذلك العلم لن يضل السبيل أبدا لأن العلم النافع هو الطريق الصحيح لحفظ الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[3].

**سادسا**: إطلاق الألفاظ المشتركة والمجملة المحتملة للحق والباطل وأكثر ما جرى بين الأمة من الاختلاف والفرقة هو بسببها بدءاً بانشقاق الخوارج والشيعة بقولهم: (لا حكم إلا لله) وانتهاء بذلك الكم الهائل من الفرق بسبب تلك المصطلحات التي عجت بها كتب العقائد كالافتقار والتركيب والبعض والجزء والجهة والحيز والحد ونحوها مما لا يمكن حصره.

**سابعا**: الابتداع في الدين بأن يشرع ما لم يشرعه الله لعباده أصلا وهيئة، كما قال سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[4]، وقال ﷺ: «**كل بدعة ضلالة وكل**

---

(١) سورة الزمر، الآية ٩.
(٢) رواه الآجري في كتاب الشريعة ص (٣١).
(٣) سورة النساء، الآية ٨٣.
(٤) سورة الشورى، آية ٢١.

**ضلالة في النار** »[١]، **وقال** ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[٢].

والناظر في أكثر ما جرى من الانقسام في جسم الأمة المحمدية من هذا القبيل إذ كل من انتحل بدعة وانضم إليه آخرون عليها، أنشأ فرقة من الفرق فزاد الشقة والفرقة في الأمة المحمدية كالمعتزلة والأشاعرة والقاديانية والبهائية وغيرها .

**ثامنا**: الغلو في الدين كما قال سبحانه: ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ** ﴾[٣]، وقال ﷺ: « **إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين** »[٤] حديث صحيح .

**تاسعا**: متابعة الأمم السابقة من اليهود والنصارى وسواهم، روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** »[٥].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب ( ٣٩ ) السنة باب ( ٥ ) .

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الصلح، باب ( ٥ )، صحيح مسلم الأقضية ( ٣٠ ) حديث ١٧ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ١ ـ ٢١٥ )، وابن ماجه، كتاب المناسك ٢٥ حديث ( ٢٩ - ٣٠ ) .

(٥) سنن الترمذي، كتاب الفتن باب ( ١٨ )، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن باب ( ١٧ ) وفي الجهاد باب ( ٤٠ ) .

وروى الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلا بمثل حذو النعل بالنعل وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة**»، قيل من هي يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[1]، وروي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتأخذن أمتي مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع**»، قيل يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ قال رسول الله ﷺ: «**ومن الناس إلا أولئك**»[2].

وروي أيضاً عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم حذو القذة بالقذة**»[3].

قال الآجري: (من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعام منهم تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين)[4].

**عاشرا**: الثقافات الوافدة نتيجة لترجمة علوم الأمم الأخرى

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الإيمان (٣٨)، باب (١٨) باب افتراق هذه الأمة.
(٢) رواه البخاري، كتاب: (الاعتصام بالسنة) برقم (٧٣١٩).
(٣) الشريعة للآجري ص (١٩).
(٤) الشريعة للآجري ص (٢٠).

كاليونانية والهندية وهي ثقافات وثنية وقد بدأت ترجمتها في أواخر عهد بني أمية في المائة الثانية من الهجرة حيث كان خالد ابن يزيد بن معاوية شغوفا بعلوم الأوائل وفلسفتهم ثم زادت حركة الترجمة ـ بعد توقف ـ في خلافة المأمون حيث أرسل لملوك البلدان من يجلب ما عندهم من مخطوطات العلوم والفنون فجلبوا له كتب الفلسفة التي اتفقوا على جلبها إلى العالم الإسلامي حتى يفسدوا عليه عقائده ويولدوا الفرقة فيه من داخله وهو نتيجة طبيعية لتلك المناظرات الفلسفية والمعارضات العقدية .

**حادي عشر**: كيد أعداء الإسلام والذين أظهروا الإسلام قصداً لفتِّ قوته وتقويض دولته وزرع الخلافات بين أهله واتخذوا من الحركات الباطنية والسرية طريقا لنشر أباطيلهم ولقد كان لبعضهم من المكانة والمنزلة ما يسر له ذلك مثل ابن المقفع المجوسي والبرامكة عُباد النار ممن كانت لهم صولة وجولة في أيام غيبة الوعي الإسلامي ومن أعظمهم أثراً وأكثرهم خطراً الوزير ابن العلقمي الرافضي والباطني والنصير الطوسي اللذان عن طريقهما قضي على حضارة الإسلام في المشرق عندما هيئوا للتتار طريق الدخول على المسلمين وتحطيم دولتهم والقضاء على معارفهم، كما أن للدول التي نشأت على أنقاض الخلافة الإسلامية كدولة الفاطميين والإسماعيليين والدولة الطولونية والحمدانية الشيعيتين، وغيرهما كالدولة الصفوية أثر كبير في القضاء على وحدة الأمة الإسلامية مما أحالها بعد الاجتماع إلى دويلات متفرقات ذات مشارب بعيدة كل البعد عن الإسلام الحق مما كان سبباً في نشر

الفرقة بين المسلمين .

**ثاني عشر**: التأويل الذي به استحلت الأموال والأنفس والفروج وغُيِّر وجه الدين عن طريق التأويل الباطني والصوفي والكلامي .

**ثالث عشر**: الجدل والخصومة في الدين .

**رابع عشر**: العصبية للآراء والمذاهب .

هذا والدارس لأحوال الفرق التي نشأت في إطار الأمة الإسلامية يجد أن أسباب الخلاف العقدي الجزئية ترجع إلى الأمور التالية :

**أولا**: الإمامة .

**ثانيا**: الأسماء والصفات .

**ثالثا**: أسماء الدين والإسلام .

**رابعا**: القضاء والقدر .

**خامسا**: الولاء والبراء .

**سادسا**: مصادر التلقي وموقف طوائف الأمة منها .

**سابعا**: الوعد والوعيد .

## أنواع الاختلاف في الدين من حيث الرتبة :

وقد عُلِمَ مما تقدم أن الاختلاف في الدين جاءت نصوص الكتاب والسنة بذمه مطلقاً بدون استثناء ولكن نظراً لأن اختلاف البشر في الطبائع أمر لا ينكر كان الخلاف حتماً موجوداً وواقعاً وهو باعتبار هذا الوقوع نوعان :

**الأول**: اختلاف في العقائد وما علم بالضرورة من دين الإسلام وجوبه أو تحريمه، أو كان في إطار الفروع الشرعية وأدى إلى الخصومة والتنازع والتعصب فهذا النوع من الخلاف محرم شرعاً لوجوه :

**أولا** : لأن الحق في العقائد واحد لا يتعدد كما قال سبحانه: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[1].

**ثانيا**: لأن العقائد وما علم بالضرورة من الدين ثابت بالدليل القاطع اليقيني ومثله يطلب فيه اليقين ولا يقين مع الاختلاف .

**ثالثا**: لتأديته للفرقة والتنازع وهو محرم فالاختلاف محرم أيضاً لأنه وسيلة لهما.

**رابعا**: أن الفروع الحق فيها واحد، والواجب بذل الجهد في إصابته وأما التعصب للأقوال فلا يكون إلا عن هوى لا عن جد في طلب الحق المدلول عليه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما

(١) سورة يونس، الآية ٣٢ .

كان كذلك فهو محرم وما بني عليه وهو الاختلاف محرم .

**النوع الثاني من الاختلاف** : وهو ما كان المقصود منه طلب الحق المدلول عليه بالكتاب والسنة، لكن لاختلاف الناس في مداركهم وعلومهم يحصل الاختلاف مع اتفاق الكل على طلب ما شرعه الله في واقع الأمر وحقيقته مع عدم التعصب والتنازع في ذلك، فهذا النوع من الخلاف مباح وإن كان الاتفاق واجب ما أمكن إلى ذلك سبيلا لما تقدم من أن النصوص تعم بالذم الخلاف في الأصول والفروع، وإنما جاز الخلاف في الفروع للوجوه التالية :

**أولا**: أن مدارك الأحكام في الفروع ظنية والمجتهد متعبد بذلك؛ لأنه الأمر الذي يستطيعه قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[1] فلا يجب عليه أكثر منه؛ لأن إيجاب اليقين عليه تكليف بما لا يستطاع .

**ثانيا**: لاختلاف الصحابة في أمور الفروع وعدم تضليل بعضهم بعضا مما يدل على أنه مباح .

**ثالثا**: قوله ﷺ: « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد** »[2] فلم يخل المجتهد المخطىء من الأجر مما يدل على أنه مباح .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة ( ٦٨٠٥ )، ومسلم في الأقضية ( ٣٢٤٠ ) .

**رابعاً**: لاختلاف الصحابة واجتهادهم بين يدي النبي ﷺ وإقراره لهم كاختلافهم في مفهوم قوله ﷺ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»[(١)]، فاجتهد بعضهم فصلى العصر في الطريق في وقتها أخذاً بحديث «**الصلاة لوقتها**» وجعله مخصصاً للحديث الأول وصلى بعضهم العصر في بني قريظة بعد أن دخل وقت المغرب تخصيصاً للحديث السابق بالأول وقد أقرهم الرسول ﷺ .

**خامساً**: لأن الحق في الفروع غير متعين عندنا، وقد نصب الشارع عليه أمارات، والأمارات ظنية تختلف الفهوم في دلالتها على الحكم، ونصبها دليل على جواز الاعتماد عليها فيما توصل إليه سواء كان خلافاً أو اتفاقاً فصار الخلاف في الفروع مباحاً .

## أحاديث الافتراق :

أحاديث الافتراق: هي الأقوال النبوية التي نصت أو أشارت إلى انقسام الأمة الإسلامية إلى فرق شتى في البدع والأهواء، ولقد جاءت الأخبار الصحيحة الصادقة عن النبي ﷺ أن هذه الأمة المحمدية ستنقسم على نفسها في البدع والأهواء أسوة بانقسام من كان قبلها من بني إسرائيل من اليهود والنصارى، بل إن الحق في هذه الأمة تحمله طائفة وقفت عليه وتحملت مسئوليته فهي عنه مدافعة منافحة وذلك أن مصادر الحق في بني إسرائيل محرفة لا

(١) رواه البخاري، كتاب أبواب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب .

يمكن الرجوع إليها عند التنازع والاختلاف، وأما في الأمة المحمدية فليس الأمر كذلك فإن مصادرها محفوظة، بل وقامت الدواعي من جهة النقل على صحتها ينقلها الخلف عن السلف كما قال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] والرد إلى الله رد إلى كتابه القرآن الكريم والرد إلى الرسول رد إلى سنته وهما محفوظان بحمد الله ومنته قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

وقد رويت أحاديث الافتراق بأسانيد كثيرة عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم كأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب، وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبي أمامة وغيرهم وهي صحيحة الإسناد من حيث النقل متواترة لفظاً ومعنى، ومجملها أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة ضلت الحق ولم تصبه وقالت بالباطل، لذا فهي مستحقة للوعيد، وفرقة واحدة تمسكت بالحق فهي به قائمة إلى أن تقوم الساعة، وقد أجمل الإمام أبو بكر الآجري هذه الروايات فقال: (أخبرنا النبي ﷺ عن أمة موسى عليه الصلاة والسلام أنهم اختلفوا على إحدى وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة، وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه عن أمة عيسى عليه الصلاة والسلام أنهم اختلفوا على اثنتين وسبعين ملة إحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وقال ﷺ: « **وتعلو**

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٩ .

**أمتي على الفريقين جميعاً تزيد عليهم فرقة واحدة، اثنتان وسبعون منها في النار، وواحدة في الجنة »**)[١] .

ثم إنه صلوات الله وسلامه عليه سُئل عن الناجية فقال عليه الصلاة والسلام في حديث: « **ما أنا عليه وأصحابي** »، وفي حديث قال: « **السواد الأعظم** »، وفي حديث قال: « **واحدة في الجنة** » .

وقد اختلف أهل العلم في معنى جملة « **كلها في النار إلا واحدة** » على قولين :

**الأول منهما**: أن الأمة الواردة في قوله: « **وتفترق أمتي** » هي أمة الإجابة وهم المسلمون، فيكون المراد بقوله : « **كلها في النار** » أن ما عدا الفرقة الناجية مستحق للنار مستوجب للوعيد لا أنه مخلد فيها لأنه لا يخلد أحد من عصاة هذه الأمة في النار .

**الثاني**: أن المراد بالأمة : هي ما يشمل أمة الدعوة فيدخل في مسمى الأمة المسلمون، وعندئذ يكون معنى « **كلها في النار** » هم الكفار والناجية هي أمة الإجابة ويدل عليه قوله ﷺ: « **لا يسمع بي أحد من أمتي يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار** »[٢] .

والقول الراجح والله أعلم هو المعنى الأول، وذلك لأن أمة

---

(١) الشريعة للآجري ص (١٤) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ٢ ـ ٣١٧ ) المكتب الإسلامي .

الإجابة ليس العصاة منها محكوم لهم بالنجاة مطلقا، وظاهر الحديث إثبات النجاة على الإطلاق للفرقة الناجية، ولأن الحكم على ما عدا الناجية بالنار يدخل فيه العصاة والكفار من باب أولى فيكون على القول الأول المعنى أشمل، ويستفاد منه معنى أكثر من القول الثاني، ومما يقوي القول الأول حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أني قد رأيت إخواننا**»، قالوا: يارسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: «**بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطكم على الحوض**» قالوا: يارسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: «**أرأيتم لو كان لأحدكم خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟**» قالوا بلى يارسول الله، قال: «**فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم ألا، فيقال: قد بدلوا بعدك، فأقول: فسحقاً فسحقاً فسحقاً**»[1]. ووجه دلالة الحديث أن قوله ﷺ: «**فليذادن رجال عن حوضي..**» إلى قوله: «**أناديهم ألا هلم**» مُشعرٌ بأنهم أمته وأنه عرفهم وقد بين أنهم بالغرر والتحجيل، فدل ذلك على أن هؤلاء الذين دعاهم قد كانوا بدلوا ذوو غرر وتحجيل.

وذلك من خاصية هذه الأمة فبان أنهم معدودون من الأمة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب (٥٢)، ومسلم في كتاب الطهارة حديث (٢٩).

ولو حكم لهم بالخروج من الأمة لم يعرفهم رسول الله ﷺ بغرة أو تحجيل لعدمه عندهم[١].

هذا وقد اختلف أهل العلم في مفهوم العدد في قوله: «**وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة**» بعد تعيينهم للفرقة الناجية فمنهم من قال: إن المراد بالعدد هو التكثير لا التحديد وأن هذه الأمة سيكثر الافتراق فيها ودليل ذلك حديث: خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ** ﴾[٢] »[٣].

ولا شك في أن طرق الشيطان وسبله ليست محدودة بعدد، ولكن يكدر عليه مقابلة عدد الأمة بعدد أهل الكتاب، ومنهم من قال: بل إن هذا العدد مقصود وأن المراد أن هذه الفرق أكثرها خطراً وأعظمها شراً هذا العدد، ومنهم من قال: بل إن عدد الفرق محصور في هذا العدد، لكن لم يأت بيان بتعيينها خشية أن تظهر بدع غيرها داخلة في نطاقها ثم يظن أنها ليست ببدع، وبناء على هذا القول الأخير خاض العلماء في تحديد فرق الضلال بحسب ما أداهم إليه اجتهادهم وليس ذلك عن يقين بل عن ظن غالب، وقد رجح الشاطبي رحمه الله القول الأول لعدم الدليل على

---

(١) الاعتصام ( ٢/ ٢٠٥ ) .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٤٣٥ وحسنه الألباني في تحقيقه على السند لابن أبي عاصم رقم ( ١٧ )

التعيين ولعدم اقتضاء العقل له، إذ لا فائدة في التعيين بل ربما حصلت به مضرة ولما في القول بالتعيين من تكلف ولما يترتب عليه من ذم لما يعين ثم ترتيب الأحكام الشرعية، وقد توج ترجيحه هذا بأن التعيين فيه قبح من جهتين :

**الأولى**: أن الإشارة إلى الأوصاف كافية في العلم بمجانبتها للحق .

**الثانية**: لأن في عدم التعيين سترا للأمة وعدم نشر لمساوئها إلا أن الشارع نص على طائفتين وهم الخوارج والقدرية وذلك لعظم الضرر بهم ولدعوتهم لضلالهم وسهولة انخداع العامة بهم والذي يظهر وجاهة ما قاله الشاطبي في الجملة[1]. وعليه فيكون الراجح عندنا هو القول الأول .

---

(١) انظر الاعتصام (٢/ ٢٢٣ - ٢٣٠) .

# الخاتمة

## الفرقة الناجية صفاتها وخصائصها :

المراد بالفرقة الناجية: هي الطائفة التي نجت من الخلود في النار وإن كان منها من قد يعذب أو يكون مستحقا للعذاب لكنه نجى بعفو الله ورحمته وقد ورد وصف هذه الفرقة بالنجاة في قوله ﷺ: « **اثنتان وسبعون منها في النار وواحدة منهم في الجنة** »[(١)] من حديث أنس بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

وإنما استحقت هذا الوصف لأنها تمسكت بالحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ويدل ذلك على قوله ﷺ لمن سأله من هي يا رسول الله ؟ قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

فظهر بذلك أن ميزان الحق هو اتباع ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأن ميزان الباطل مخالفة ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وأن حظ المسلم من النجاة يقدر بقدر ما فيه من الاتباع كما قال سبحانه : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[(٢)]، وقوله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** »[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال: هذا مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه رقم (٢٦٤١) .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١ .

(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه ص ٣٤٥ .

## صفـات الفـرقة الناجيـة :

قد وردت نصوص السنة ببيان عدد من الصفات نستطيع من خلالها أن نتعرف على هذه الفرقة وهي:

**أولا**: ما تقدم من اتباعها لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

**ثانيا**: اجتماعهم على الحق وعدم تفرقهم كما قال ﷺ لمن سأله عن هذه الطائفة : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

**ثالثا**: كونهم السواد الأعظم من الأمة وقد عرفها الرسول ﷺ بذلك فقال: « **كلها في النار إلا السواد الأعظم** »[1] وهذا من منة الله على هذه الأمة أن يكون أكثرها على الحق والإشارة هنا والله أعلم للصحابة والتابعين لأنهم كانوا السواد الأعظم من الأمة لا سيما إذا قرن ذلك مع قوله ﷺ: « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »[2]، وأما بعد هؤلاء فلا عجب إن قل أصحاب الحق .

ويدل على ذلك قوله ﷺ: « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً**

---

(١) روى ابن ماجه قريب من معناه كتاب الفتن باب (٨)، ورواه الآجري في كتاب الشريعة ص (١٧) .

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه بلفظ: « **خير الناس** » كتاب التفسير سورة (٣)، ورواه بلفظ: « **خير أمتي** » كتاب فضائل الصحابة باب (١)، ومسلم، كتاب الإمارة (٧١) بلفظ: « **خير الناس** » .

**كما بدأ**»[(١)]، مع قوله: «**فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس**»، وفي رواية: «**يصلحون ما أفسده الناس**»، وحديث: «**يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر**»[(٢)] وغيرها كثير.

**رابعا**: وسماها الناجية لنجاتها من الخلود في النار كما تقدم.

**خامسا**: كونهم ظاهرين على الحق وهذا لوضوح الأدلة والبراهين على صحة ما اعتقدوه ويدل عليه حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال ناس من أمتي على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»[(٣)]. متفق عليه.

**سادسا**: كون العاقبة لهم ويدل عليه قوله ﷺ من الحديث السابق الذكر: «**حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**».

**سابعا**: أنه لا يضرهم خذلان من خذلهم كما جاء في حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين**

---

(١) رواه مسلم (٢/ ١٧٦) طبعة عبدالباقي، والترمذي بلفظ قريب منه (٧/ ٢٨٨)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي بلفظ قريب منه وقال: هذا الحديث غريب من هذا الوجه (٧/ ٣٩)، ورواه ابن بطة في كتاب الإبانة (١/ ١٩٦).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (٣٩)، ومسلم كتاب الإمارة الأحاديث (١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧).

**على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك** »[1] رواه مسلم .

**ثامنا**: شهرة مذهبهم وظهوره على سواه فهم لا يكتمون من الحق شيئا وهو داخل في مدلول قوله ﷺ: « **ظاهرين على الحق** » .

**تاسعا**: أنهم منصورون على من عارضهم بالحجة والبرهان أو بالسيف والسنان كما قال صلى الله عليه وسلم : « **لا تزال طائفة من أمتي منصورين** »[2] فهي ناصرة للحق مدافعة عنه، والله مؤيد لهم ولا بد، وستكون الغلبة لهم .

**عاشرا**: أنهم غرباء في آخر الزمان مع قوة وعزة، كما قال ﷺ : « **فطوبى للغرباء . . .** » الحديث، مع قوله ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ** » المعنى في قلة رجاله وقوتهم .

**حادي عشر**: أنهم يدعون إلى الحق على علم وبصيرة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[3] .

**ثاني عشر**: أنهم متبعون موحدون قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ**

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، الاعتصام باب (١٠)، ومسلم كتاب الإيمان حديث (٣٤٧) .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، المقدمة رقم (٧) (١/٥) باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١) طبعة محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١]، وقال ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»[٢]، وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣].

## خصائص الفرقة الناجية[٤]:

وقد تميزت هذه الفرقة بصفات خاصة بها تعرف، وبناء عليها يمكن أن تصح النسبة إليها وهي:

**أولا**: تمسكها بالقرآن والسنة النبوية واعتبارهما مصدراً من مصادر التلقي وعدم تقديم أي شيء عليهما من هوى أو كشف أو ذوق أو حس أو عقل.

**ثانيا**: عنايتها بآثار السلف وعدم ميلها عنها.

**ثالثا**: محاربتها للبدع في الدين.

**رابعا**: أن تمسكها قام على علم وبصيرة بدين الله.

**خامسا**: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج عليهم وشق عصا الطاعة إلا أن يروا كفراً بواحا.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٢) رواه البخاري (٩) رقم (٥٠٦٣) من فتح الباري، ومسلم (٢) رقم (١٤٠١) طبعة عبد الباقي.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح باب (٥) رقم (٢٦٩٧) طبعة عبد الباقي، ومسلم كتاب الأقضية حديث (١٧) رقم (١٧١٨) طبعة عبد الباقي.

(٤) انظر كتاب السنة للإمام أحمد، وشرح السنة للبهاري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥١ - ١٨٦).

**سادسا**: السمع والطاعة لأئمة المسلمين في المنشط والمكره ما دام ذلك في طاعة الله والصبر عليهم وإن جاروا .

**سابعا**: الدعاء لأئمة المسلمين مع أمرهم لهم بالمعروف ونهيهم لهم عن المنكر .

**ثامنا**: حبهم لأصحاب الرسول ﷺ وترضيهم عنهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم مع الاقتداء بهم والاعتذار لهم فيما حصل بينهم .

**تاسعا**: تركهم للجدل المذموم والخصومة في الدين والمراء في القرآن والسنة مع المناصحة لخاصة المسلمين وعامتهم .

**عاشرا**: عدم تكفيرهم لأحد من أهل القبلة بذنب من الذنوب إلا أن يكون مكفراً لهم عليه من الله برهان .

**حادي عشر**: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل .

**ثاني عشر**: جواز الاستثناء في الإيمان بلا شك وكراهته مع التزكية .

**ثالث عشر**: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة .

**رابع عشر**: الإيمان بالقضاء والقدر السابق .

**خامس عشر**: الإيمان بكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف .

**سادس عشر**: الإيمان بمشيئة الله النافذة وعلمه السابق وخلقه لأفعال العباد وكتابته لها في اللوح المحفوظ .

**سابع عشر**: الإيمان بأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وأن كلامه منزل غير مخلوق، وأنه بصوت وحرف .

**ثامن عشر**: اجتماعهم على الحق وعدم تفرقهم فيه .

**تاسع عشر**: أن أهل الكبائر إذا ماتوا ولم يتوبوا فهم تحت مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، وأنهم في النار لا يخلدون ومآلهم إلى الجنة .

**عشرون**: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر .

**حادي وعشرون**: عدم اتباعهم للمتشابه من القرآن والسنة [١].

**ثاني وعشرون**: التصديق بكل ما ورد في الكتاب والسنة سواء فهموا معناه أو لم يفهموا فما فهم حقه الإيمان على التفصيل، وما لم يفهم حقه الإيمان على الإجمال على معنى أن كل ما أخبر الله به أو رسوله حق، وأنهم يؤمنون به على مراد الله ومراد رسوله .

**ثالث وعشرون**: الوسطية المتضمنة لكونهم على الحق رافضين الباطل، باطل من غلا فزاد على الحق ما ليس منه، وباطل من جفا بأن قصر في اتباع الحق فترك شيئا منه كما قال سبحانه:

---

(١) انظر عقيدة الصابوني ص (٢٢) .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1].

**رابع وعشرون**: إيمانهم باستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه كما قال سبحانه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[3].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) سورة طه، الآية ٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٨.